

فساد النظمات الاجتماعية

تختلف الشعوب بنظماتها وقوانينها وعاداتها وتقاليدها دائما كما تتفق بالأسس التي عليها بنت هذه النظمات والقوانين والعادات والتقاليد . وقد يستغرب المرء اذا ما سمع لأول مرة أن عظمة انكلترا وحقارة الهند مثلا مرتكزتان على أساس واحد مودوث عن النظمات الطبيعية الحيوانية . ولكن استغرابه هذا يزول عندما يعرف وضعية روح الاجتماع الحاضر وما يولد من الشرور تحت ستار زخارف المدنية الحديثة المبينة على الرمم والعظام . ولما كان لا بد من التطور فان التاريخ سيمثل نفس الدور الذي مثله الانكلترا بالهند وستنقل حضارات الشعوب الحاضرة إلى غيرها عن نهرأ منهم اليوم لحقارتها وممجيئتها لأن حب الحرية المطبوع بظواهر الحضارات سيكبر في نفوس الشعوب الضعيفة حتى يصير ضرورة طبيعية تدفعها الى حيث تصبو الى الحرية والمجد . انما هذه الحرية وهذا المجد لن يدوما عندها بل سينقلان إلى غيرها وذلك لأنهما وهمايان يظهران في زخرف المدينيات وعند حوزة هذه المدينيات من أمة ما تظهر الحقيقة لها فتحل وتسترخي ويكون من جراء هذا نزع المدينيات منها ولصقها بغيرها بمن كانت أحقر وأضعف منها . فالشعوب الأوروبية كانت فيما مر من الازمان في ظلام من الجهل تامس بينما كانت حضارات الشرق تضيء بنورها الساطع هذه الربوع المظلمة اليوم فبعد أن أطلع الاوروبيون على تلك الحضارات صبت نفوسهم اليها لتومهم أنها الحرية والمجد وكان الشرقيون قد عرفوا ما في الأمر من وهم . فازيدروا بما عندهم وكان من جراء ذلك التوهم وهذا الازدراء ان انتقلت الحضارات الى الغرب بعد أن نمت قليلا في خلال المنازعات عليها وهامى البرم قد طبعت في الظواهر بالغرب مع أنها في الأصل لم تزل غريبة عنه كما كانت غريبة عن الشرق لأنها ظاهرة حيوانية طبيعية تنمو خلال الحروب وتنقل من أمة إلى أخرى حسب وضعية الشعوب في الرقي والتدن .

فاذا قلت إن المدينيات ضرورة وان النظمات الاجتماعية ضرب من مظاهر القوة

التي لا تعرف الحق هذا اذا كان من معنى لكلمة الحق - فاني أقول الصحيح وسأبين
في بحثي هذا المظالم التي تسود العالم من جراء هذه المدينيات وهذه المنظمات التي يقدها
أكثر الناس اليوم .

أظهر مظاهر الاحياء - جماعاتها - وأظهر مظاهر هذه الجماعات قوانينها وتقاليدها
ولكن مع أن الاجتماع ظاهرة ضرورية للاحياء اليوم لأن بقوزها النوع على غيره
والشعوب على بعضها - فانها نظام حيواني مبدؤه اضمحلال الفرد بروح الجماعة
وتضحية الفرد لصالح الجماعة . وهذا من أشد المظالم أثراً ولكنه مقدس اذا بقينا
كأنحن نسير على نظام حيواني وراثته عن سلفنا وسنورثه لمن يخلفنا .

يقول البعض من علماء الاجتماع إن الجماعات تتخذ شكل الفرد . والفرد مظهر
من مظاهر الطبيعة ولهذا فان الجماعات ظاهرة طبيعية لا يمكن تحويرها ؟؟ . ولكن
قولهم هذا يشبه قول علماء الطبيعة بعد نيوتن الذين كانوا ينظرون إلى ناموس الجاذبية
كحقيقة طبيعية راضية مع أن إثنين قد صور ذلك الناموس الوهمي وبين العالم حقيقة
طبيعية ثابتة كانت بمنزل عن آراء العلماء - فالطبيعة التي يستشهدون بها لا توجد وجوداً
ذاتياً أعني أنها لا تأمر بعمل هذا ولو كان مضراً ، وترك ذلك ولو كان نافعاً لأن
الانسان هو طبيعة ذاته يحورها كما يريد ويبدلها كما يشاء بنسبة قدرته البدنية وقوته
العقلية ورغبته في عمل هذا أو ذاك ! مثلاً الأديان لاحتقيقة لها والآلهة التي يعبدونها
الناس لا توجد أبداً ولكن لو قلنا ان هذا المظهر طبيعي فلانعني أن الطبيعة هي التي تأمر
الناس بالعبادة لانهم هم الطبيعة وهم الذين يفعلون هذا أو ذاك وبحسب ما يفعلونه
طبيعة . فاذا قلت ان الجماعات مظهر طبيعي وان الناس هم طبيعة الجماعات فاعني اننا
نقدر أن نحور هذه الجماعات حسب ارادتنا ورغبة المؤسسات على النفعة الفردية المحسوسة
القرية ، التي منها تحور الجماعات وتبدل هذه المدينيات المبنية على جثث الناس
والضحايا البرتبة .

وقد تشبه هذه المدينيات جماعات من الناس تتنازع على حوض ماء لانباع له .
فهذا النزاع قد لا ينتهي وانما هذا الحوض قد يجف من تبخر مائه بحرارة الشمس
القوية . فهل يجب أن يدوم النزاع بعد أن يجف ماء الحوض أم ان ينهب كل فريق

في سبيله بعدان ينتفى السبب الذي من أجله يتازعان؟؟ . وهذا المثل يفسر بقولنا .
ظن الناس قديما ان الفرد عدو الفرد وإن الجهاد في سبيل تأييد مبدأ أورأى موحى
به من الله يكسب الانسان أجرا يناله في السماء بعد موته . وهذا الظن قد انتقل الى
الجماعات وما هو اليوم يظهر في الشعوب الشرقية والغربية على السواء فهل يجب أن
ندوم النسر بحسب موحيات هذا الظن بعد ان عرفنا فسادة وإن الانسان ليس عدوا
للانسان وإن آراء الآئمة ليست سوى خرافات وأوهام أم نبدل وجهة سيرنا وتتخذ
قاعدة أخرى تتفق ومقدرتنا العقلية ورغبتنا الصادقة المؤسفة على منفعة الفرد المحسوسة
وزيادة الراحة والسلام والطمأنينة .

إن المدينيات التي تستغويننا ونرى فيها كل الحرية والمجد ليست سوى سرايا لا
يتحققه الا الذي يصل اليه . فالحضارات التي نمجدها نلية صعبة للعالم يبدل في سبيلها
ملايين النفوس البريئة فإذا ما بقينا ننظر اليها كهدف أسما في الحياة سنبقى حيث نحن
تناوى بالسلام العالمي ولا نفقه له معنى فيجب أن نطرح حب زخارف هذه المدينيات
جانبا ونطبع ذراتنا على حب الآخرة الخالصة بعد الثمور بوجودنا الشخصي لان في
هذا وحده تؤثر في هذه العاصفة الهوجاء التي تقسم البشرية وتفكك بها فتكا ذريعا
تتشعر من حوله الابدان .

ربما يعترض البعض من أن صيرورتنا غنا في وسط ذئاب العالم لا يفيدنا ولا
يفيد العالم فبدلا من أن تتحمل العذاب وتموت ضحية التراميس الطيحية يجب أن نكون
الاقوياء ويكون غيرنا تلك الضحية . . أن هذا الاعتراض له مقامه في نفوس المفكرين
بعد ان أظهر العلامة داروين حقيقة النشوء والارتقاء ويمكنني أن أقول إن ضرره
أكثر من نفعه لان يقظة الجماعات للحروب بعد معرفتها هذه الحقيقة قد زادت ومن
جرا ذلك الازدياد قويت هذه المدينيات وصار تحويرها صعبا .

اتنا مع استعدادنا لرد غارة الفاتزين وتضحية النفس في سبيل الحياة يجب أن نبشر
بهذه الحقيقة لان انحاء الارض تكفي خمسة أضعاف العالم والسعادة الموهومة
بعد الموت لاحقيقة لها والفرد حر في ذاته . هذا بعد أن يتحرر من يير الغواية والجهل
وسلطة الآراء الاجتماعية بواسطة تعليمه ليشعر بوجود ذاته لا ان يخرج من نير

عبودية النظام الرأسمالي يصعق عمن في بر عبودية النظام الشيوعي أو ان يترك التسك
 الاعنى بوجود الآلهة وينسك تمسكاً أعنى بعدم وجودها . انما لا يجب التسو عن ان
 هذه المدينيات تعوق الرقى الفردى الذى ينشربه تسلطها على الافراد من ناحية الاقتصاديات
 أولاً وروح الجماعات ثانياً واذا قلت الاقتصاديات وروح الجماعات فأنى أعنى أهم شئ
 ترتكز عنه هذه المدينيات فالانسان الذى يتعشق على المناهز بالحرية والمجد من
 وراء الحرب انما هو أجهل من أى جهل . والناس الذين يسرون وراءه طوع اشارته
 انما هم حيوانات عجم لا تفكر ولا تعقل وقد يكون من وراء هذا الانسان النفع الموضعى
 لهؤلاء الناس وانما هذا النفع لا يفيد شيئاً لان التاريخ سيمثل نفس الدور الذى مثله
 هؤلاء الناس فى غيرهم وسيزرع منهم هذا النفع الذى حازوه وسيرجعون الى ذات الطريقة
 التى بها كانوا قد اتفعلوا وسيدفعون فى المرات الثلاث مرة النفع ومرة نزع النفع منهم
 ومرة اعادة النفع الوفا لآلئ ملايين من النفوس البريئة ثمنا لومهم وعبادتهم .
 ان قلبي يكاد يتفطر حزناً وغماً على مصيرنا ونهايتنا فى هذه المدينيات الظالمة الغاشمة
 لاننا سنضطر الى عمل ما يذهب برؤسنا وجودنا السامى وسنجازي طغيان هذه العاطفة
 التى قد لانتفى اذا بقيت على حالها أبداً الدهر .

ح . ١

